

## ابن هشام ومنهجه في معني اللبيب

د. زيتون بيكم \*

شكفته خاتم \*

إن اللغة العربية بمنزلتها الكريمة قد نالت بنحوها و صرفها وبيانها الكثير من اهتمام الدارسين ، ولذا نرى عبر القرون أن كثيرا من العلماء قد بذلوا جهودهم في دراسة قواعد اللغة العربية وقوانينها ومصطلحاتها ، ووضعوا كتبًا مختلفة فيها خدمة لهذه اللغة الخالدة. وابن هشام الأنصاري يعد من هؤلاء العلماء، فقد ترك كنزا هائلا وآثارا رائعة بارزة في الدراسات النحوية ، واشتهر في عصره بملكاته العقلية النادرة ، وإحاطته بآراء النحاة الذين سبقوه مع اختلاف مدارسهم ، وقدرته في معالجة تلك الآراء ، وانفراده ببعض الآراء النحوية ، وله في مؤلفاته النحوية منهج خاص يختلف عما سار عليه علماء النحو الآخرون.

### مولده واسمه ونسبه: (١)

ولد النحوي الأجل ، الأديب ، اللغوي عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن احمد بن عبد الله بن هشام الانصاري المصري الخزرجي الحنبلي بالقاهرة يوم السبت الخامس من ذي القعدة سنة ٧٠٨هـ ، وهو الأرجح ، وقيل : إن مولده كان بعد سنة ٧١٠هـ.

### لقبه وكنيته :

كان يلقب بجمال الدين ويكنى بابن هشام وهو المشهور ، وبأبي محمد ، اسم أكبر ولديه ، واشتهر بابن هشام النحوي.

### حياته :

الطور الأول من حياته ، ونعني به عهد الطفولة والحدائث والنشأة والتربية في حجر أبويه ، وبين أعضاء أسرته ، لا يزال سرا غامضا ، لم تتاوله كتب التراجم

والتاريخ ، ولم يجله الباحثون ، لأننا لا نعرف شيئا عن أسرته وطفولته أكثر من أنه نشأ نشأة علمية في أسرة عريقة في العلم والأدب والفضل. فذاع صيته في الآفاق علما يشار إليه بالبنان ، وعالمًا يعتمد عليه. قال عنه ابن خلدون: "مازلنا ونحن بالمغرب نسمع انه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام انحى من سيبويه".<sup>(٢)</sup>

صرح ابن حجر عنه : ولد (ابن هشام) في ذي القعدة سنة ٧٠٨هـ ولزم الشيخ شهاب الدين عبداللطيف بن المرحل ، وتلا على ابن السراج ، وسمع من أبي حيان ديوان زهير بن أبي سلمى ، ولم يلازمه ولا قرأ عليه . وحضر دروس الشيخ تاج الدين التبريزي ، وقرأ على الشيخ تاج الدين الفاكهاني جميع شرح الإشارة له إلا الورقة الأخيرة ، وتفقه للشافعي ثم تحبل فحفظ مختصر الخرقى في دون أربعة أشهر وذلك قبل موته بخمس سنين ، وأتقن العربية ففاق الأقران بل الشيوخ وحدث عن ابن جماعة بالشاطبية وتخرج به جماعة من نبل مصر وغيرهم.<sup>(٣)</sup>

### وفاته ومدفنه :

كما اتفق العلماء على تاريخ ميلاده ، اتفقوا على تاريخ وفاته . وتوفي ابن هشام في ذي القعدة سنة ٧٦١هـ أي في الشهر الذي ولد فيه ، وذكر ابن حجر أنه توفي ليلة الجمعة خامس ذي القعدة في نفس العام.<sup>(٤)</sup>

وكتب صاحب "النجوم الزاهرة" في كتابه الساعة التي دفن فيها ، والقبر الذي دفن فيه فيقول : "إنه دفن بعد صلاة الجمعة بمقابر الصوفية خارج باب النصر من القاهرة".<sup>(٥)</sup>

### ملاح شخصيته :

كان لابن هشام رحمه الله حظًا وافرا من الفهم والذكاء. وكان متصفا بأوصاف حميدة ، فقد ذكر بعض كتب التاريخ والتراجم جوانب مهمة منها، أنه تمتع بالملكة التي مكنته من التعبير عن مقصوده بما يريد ، مسهبا وموجزا ، مع التواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب.<sup>(٦)</sup>

كان ابن هشام رحمه الله كاتبًا كبيرًا ، أديبا نابغة بليغا مجيدا ، وكان أعلم الناس بالنحو واللغة ، إماما متقدما فيهما ، وكانت له قدم راسخة في صناعة الكتابة وكان رجلا طموحا ، يجتهد و يصطبر للعلم ويذلل النفس في طلبه ، قال في ذلك: (٧)

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيهله      ومن يخطب الحسناء يصير على البذل  
ومن لم يذل النفس في طلب العلا      يسيرا يعيش دهرا طويلا أخا ذل

### ثقافته :

"كان ابن هشام صاحب ثقافة واسعة ، أكسبته مكانة علمية مرموقة وشهرة فائقة ، جعلته يتربع على عرش علم النحو بلا منازع في ذلك الوقت". (٨)

وثقافته النحوية كانت أبرز صفة فيه ، فقد درس كتب النحويين السابقين دراسة تقوم على الدقة والبحث والمناقشة ، وكان له مع أصحابها نزاع وجدل يقوم على منهج عقلي منظم (٩). ولكانته في النحو شاع ذكره وطار صيته في كل العالم الإسلامي، مما دعا ابن خلدون المؤرخ أن يقول عنه ما قدمناه آنفا.

وكان من ذكائه أنه حفظ "المختصر" للخرقي في أقل من أربعة أشهر، وأشار ابن حجر إلى ذلك حيث يقول: "وتصدر الشيخ جمال الدين لنفع الطالبين ، وانفرد بالفوائد الغربية والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البالغ والاطلاع المفرط والاقتدار على التصرف في الكلام ، والملكة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد مسهبا موجزا". (١٠)

وثقافته لا تنحصر في علم النحو فقط بل كانت ثقافته مزيجا من العلوم السائدة في عصره كما يتضح من مؤلفاته الرائعة. فقد درس المذهب الشافعي ثم الحنبلي ، وتلقى ديوان زهير بن أبي سلمى عن أبي حيان ، وأخذ القراءات عن ابن السراج وحدث بالشاطبية ، كما كان له باع طويل في الدراسات اللغوية.

أساتذته :

كانت القاهرة في عصر ابن هشام مركز العلم ، والعلماء ومنهل والأدباء . ومن عادة المتعلمين قديما ألا يتعلموا على يد أستاذ واحد ، بل على عدد من الأساتذة والشيوخ ، ازديادا في استيعاب العلم وتنويع المعارف ، وطموحا إلى نيل الدرجات الرفيعة في العلم والأدب . (١١)

وقد تتلمذ ابن هشام على عدد من العلماء والشيوخ الذين يشار إليهم بالبنان وتسمنوا أعلى مناصب العلم والتعليم في عصرهم ، ومنهم :

١ . الشيخ شهاب الدين عبداللطيف بن المرحل المكنى بأبي الفرج بن عز الدين . كان فاضلا في النحو واللغة والمعاني والبيان والقراءات ، شديد التثبت في النقل . وقد لزمه ابن هشام واخذ عنه النحو فتأثر به ، وقد نوّه به بعد ذلك عرف بقدره ، وكان يطريه ويفضله على أبي حيان وغيره ، ويقول : " كان الاسم لأبي حيان ، والانتفاع بابن المرحل : توفي الشيخ في محرّم سنة ٧٤٤هـ . (١٢)

٢ . الشيخ تاج الدين علي بن عبدالله بن أبي الحسن الأردلي التبريزي ، عالم كبير في عدّة علوم كالفقه ، والنحو ، والحساب والفرائض وغيرها . وقد حضر ابن هشام دروسه في المدرسة الحسامية " . وتوفي عام ٧٤٦هـ . (١٣)

٣ . الشيخ عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللحمي الإسكندري تاج الدين الفاكهاني قرأ ابن هشام عليه جميع شرح "الإشارة" في النحو إلا الورقة الأخيرة توفي سنة ٧٣١هـ . (١٤)

٤ . الشيخ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفزي . والنفزي نسبة إلى نفزة بكسر النون وسكون الفاء : قبيلة من الربربر ولد في شوال سنة ٦٥٤هـ . سمع ابن هشام منه ديوان زهير بن أبي سلمى ، ولم يلازمه وكان كثير المخالفة له ، شديد الانحراف عنه . (١٥) وتوفي في سنة ٧٤٥هـ . (١٦)

٥. محمد بن محمد بن غير أبو عبد الله المصري المعروف بابن السراج الكاتب الجود، إمام مقرئ. ولد سنة ٦٦٨هـ. تصدر للإقراء بجامع الفاكهانيين بالقاهرة وانتفع به جماعة بالكتابة وآخرون بالقراءات<sup>(١٨)</sup>.
٦. وقد أخذ عنه ابن هشام القراءات، فتأثر بفهم أستاذه للنحو وبصدقه في النقل وبصحة القراءة والسماع. وتوفي سنة ٧٤٩هـ. <sup>(١٩)</sup>
٧. القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله الكناني الحموي الشافعي. ولد سنة ٦٣٩هـ. أخذ عنه ابن هشام علم الحديث وحدث عنه بالشاطبية. وتوفي في جمادى الأولى سنة ٧٣٣هـ. <sup>(٢٠)</sup>

### تلاميذه:

تلاميذ ابن هشام يكثر تعدادهم ويطول ذكرهم الذين جلسوا في حلقاته، وأفادوا من علمه، وتأثروا ببحوثه، وصارت لهم مكانة مرموقة في الدولة، ووصلوا إلى أعلى المناصب في القضاء والتدريس. وأشهرهم:

١. إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن يحيى بن أحمد اللخمي جمال الدين الأميوطي. "ولد سنة خمس عشر وسبعمائة من الهجرة"، وأخذ العربية عن ابن هشام النحوي، ودرس وأفتى وناب في الحكم بالقاهرة، واستوطن في مكة من سنة ست و سبعين وسبعمائة إلى أن مات في الثامن من رجب سنة تسعين وسبعمائة". <sup>(٢١)</sup>
٢. إبراهيم بن محمد بن عثمان بن إسحاق الدجوي المصري النحوي. أخذ العربية عن ابن المرحل وابن هشام وغيرهما. توفي في ربيع الأول سنة ٨٢٩هـ. <sup>(٢٢)</sup>
٣. عبد الخائق بن علي بن الحسين بن الفرات المالكي. أخذ العربية عن ابن هشام.. ودرس القضاء. وتوفي في جمادى الثانية سنة ٧٩٤هـ. <sup>(٢٣)</sup>
٤. القاضي جمال الدين أبو الفضل بن أحمد بن عبدالعزيز النويري، نسبة إلى نويرة من بلاد مصر، ولد في شعبان سنة ٧٢٢هـ. سمع بدمشق من المزي وغيره ...

وصار قاضي مكة وخطيبها ، وأخذ العربية عن ابن هشام قال عنه ابن جيب : " إنه ولي قضاء مكة نيفا وعشرين سنة ، وتوفي سنة ٧٨٦ هـ . (٣٤) "

### مؤلفاته :

مؤلفات ابن هشام تقرب إلى خمسين ، منها مطبوعة ومنها مخطوطة ومنها منشورة في المجلات . ويمكن لنا أن نقسم مؤلفاته إلى ثلاثة أقسام :

(١) النحو والصرف

(٢) اللغة والأدب

(٣) الدين : ومعظم مؤلفاته في مجال الدراسة النحوية :

### في مجال النحو والصرف :

١- الجامع الصغير في علم النحو . ٢- الإعراب عن قواعد الإعراب .

٣- الألفاظ ٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك . ٥- تلخيص الشواهد وتلخيص

الفوائد . ٦- شرح اللوحة البدرية . ٧- قطر الندى وبل الصدي . ٨- شرح قطر الندى

وبل الصدي . ٩- شذور الذهب في معرفة كلام العرب . ١٠- شرح شذور الذهب في

معرفة كلام العرب . ١١- التذكرة في النحو . ١٢- مغني اللبيب عن كتب الأعراب .

١٣- الجامع الكبير في النحو . ١٤- إقامة الدليل على صحة التمثيل وفساد التأويل في

الصرف . ١٥- نزهة الطرف في علم الصرف . ١٦- تكفاية التعريف في علم الصرف

١٧- عمدة الطلاب في تحقيق تصريف ابن الحاجب .

### في مجال اللغة والأدب :

١- شرح الشواهد الصغرى . ٢- شرح الشواهد الكبرى . ٣- شرح أبيات ابن الناظم .

٤- شرح قصيده بانة سعاد . ٥- الكواكب الدرية في مدح سيد البرية صلى الله عليه

وسلم .

### في مجال الدين :

٢. شرح الجامع الصغير.

٣. شوارد الملح وموارد المنح.

فهذه عن مؤلفات ابن هشام من خير أعماله وأكبر مجهوداته في خدمة العلم والأدب.

### مذهب ابن هشام النحوي:

إن المدراس النحوية الأربعة أي " مدرسة البصرة النحوية" و " مدرسة الكوفة النحوية" و "مدرسة بغداد النحوية" و "مدرسة الأندلس النحوية" في نظر ابن هشام متساوية ، فلا فضل لمدرسة على أخرى في مسألة من المسائل إلا مارآها مصحوبة بالدليل والبرهان. وافق مدرسة البصرة في بعض المسائل ووافق مدرسة الكوفة في بعضها ، كما وافق مدرسة بغداد في بعضها الآخر. إنه إمام نحوي مجتهد ، فلا يتقيد برأي نحوي معين أيًا كانت شهرته دون غير، وإنما كان يتحرى الحق - ما استطاع - في آرائه واختياراته . وعلى هذا الأساس نراه يقدم رأي نحوي مثل أبي حاتم على آخر اشتهر في الدراسة النحوية مثل الكسائي والقراء.

ولذا كانت مؤلفاته النحوية تعتبر من الأمثلة الجيدة للمؤلفات النحوية التي يتمثل فيها منهج التأليف في عصره. ولأهمية هذه الكتب أقبل عليها العلماء شارحين ومعلقين ، كما أقبل عليها الطلاب باحثين ودارسين ، وظلت مدار النحو والنحويين إلى اليوم. (٢٦)

ويتضح من مؤلفات ابن هشام النحوية أنه قد تعرف على مؤلفات النحاة السابقين أو بعضها ثم مؤلفات من عاصره ، فاستفاد فاختار منها منهجا يراه صالحا ، عما يعيل إلى الغموض مثلا ، أو اتخذ منهجا جديدا لم يسبقه إليه أحد من النحاة قبله.

## منهجه في معني اللبيب:

"معني اللبيب عن كتب الأعراب" من أهم مؤلفات ابن هشام واشتهر في مجال النحو بسبب تأليفه هذا الكتاب كما اشتهر بسيبويه تأليف كتابه المشهور ومرد أهمية المعني ما يأتي :

١. أن المعني أحاط الموضوعات النحوية.
  ٢. احتواءه على شواهد لغوية كثيرة.
  ٣. دقة ابن هشام في تقديم المسائل النحوية ، وعرضه للخلافات النحوية فضلا عن الدقة في التعبير والأدب والتصوير.
- تدريب المدرسين على الإعراب ، والعمل من أجل تكوين ملكة معربة ، تقدر على فهم التراكيب العربية فتتضح المعاني - وتعرف المدلولات ويكون ذلك وسيلة لفهم كتاب الله الكريم وسنة نبيه محمد (صلي الله عليه وسلم). (٢٧) "فإنهما الوسيلة إلى السعادة الأبدية إلى تحصيل المصالح الدنيوية والدنيوية وأصل ذلك علم الإعراب". (٢٨)

وقد شغل النحاة بالمعني من أول ظهوره إلى اليوم ، أقبلوا عليه شارحين ومعلقين وواضعين له الحواشي، فمنهم: (٢٩)

١. الشيخ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ شرح المعني وسماه. "تحفة الغريب في الكلام على معني اللبيب" ووضع له حاشية سماها "فتح القريب في حواشي معني اللبيب" ، وله شرح شواهد المعني.
٢. الشيخ محمد بن عبدالمجيد السامولي الشافعي السعودي ، وقد اختصر المعني وسماه "ديوان الأديب في مختصر معني اللبيب".
٣. الشيخ محمد بن أبي بكر الدماميني ، فقد شرح المعني وسماه "تحفة الغريب بشرح معني اللبيب" ولأهمية المعني في النحو أنشد الدماميني ، يمدحه قائلا:

ألا إنما معني اللبيب مصنف جليل به النحوي يحوي أمانيه

وما هو إلا جنة قد ترخرفت ألم تنظر الأبواب فيه ثمانية

٤. الشيخ ابو النجا بن خلف المصري المولود سنة ٨٤٩هـ ، وقد نظم المغني ثم شرح نظمه.

٥. الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد محمد الشمسي المتوفي سنة ٨٧٢هـ ، شرح المغني وسماه "المصنف من الكلام على مغني ابن هشام".

أما الأسباب التي دفعت ابن هشام إلى تأليف المغني - بناء على تأملاته لكتب الإعراب - فقد ذكرها ثلاثة أمور:

١. كثرة التكرار ، فإنها لم توضع لإفادة القوانين الكلية ، بل الكلام على الصور الجزئية ، فتراهم يتكلمون على التركيب المعين بكلام ، ثم حيث جاءت نظائره أعادوا ذلك الكلام.

٢. إيراد ما لا يتعلق بالإعراب كالكلام في اشتقاق اسم أهو من السمة كما يقول الكوفيون ، أم من السمو كما يقول البصريون؟ والاحتجاج لكل من الفريقين ، وترجيح الراجح من القولين.

٣. إعراب الواضحات كالابتداء وخبره ، والفاعل ونائبه ، والجار والمجرور والعاطف والمعطوف ، وأكثر الناس استقصاء لذلك الحوفي عالم باللغة والتفسير. (٣٠)

### منهجه:

نحدد حديثنا عن منهج ابن هشام في المغني في عدة مباحث :

### الأول: تبويبه للمغني:

تميز المغني عن كتب الإعراب ، لأنه اتخذ فيه طريقة خاصة في ترتيب المباحث وتنظيم الموضوعات النحوية. فقد حصر بحوثه في ثمانية أبواب: (٣١)

١. في تفسير المفردات و ذكر أحكامها.

٢. في تفسير الجمل و ذكر أقسامها وأحكامها.

٣. في تفسير ما يزداد بين المفردات والجمل وهو الظرف والجار والمجرور ، وذكر أحكامها.

٤. في ذكر أحكام يكثر دورها ويقبح بالمعرب جهلها.

٥. في ذكر الأوجه التي يدخل على المعرب الخلل من جهتها.

٦. في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها.

٧. في كيفية الإعراب.

٨. في ذكر أمور كلية يتخرج عليها ما ينحصر من الصور الجزئية.

ويتضح من هذا التقسيم اثر ابتكار ابن هشام في التبويب ، لأنه لم ينهج فيه كعادته في شرحي: قطر الندى وشدور الذهب- في تقسيم الموضوعات إلى المرفوعات والمنصوبات والمجرورات ... ، وإن كان الابتكار ليس كلياً ، لأن بعض ماورد فيه سبقه إليه لخواة آخرون . (٣٢).

### الثاني: توضيح المشكلات النحوية:

كما قدمنا ، أن المؤلف تأمل كتب الإعراب السابقة ، فوجد أن منها مسائل نحوية ينقصها الوضوح ، فحاول أن يوضحها أو يزيد عليها البيان حتى لا يستشكل الطلاب فلا نستطيع أن نسجل - هنا - جميع الأمثلة ، بل نختار منها للتوضيح مثالين:

(١) في أوجه "أل" : قال منها: "أحدها: أن تكون اسماً موصولاً بمعنى الذي وفروعه ، وهي الداخلة على أسماء الفاعلين والمفعولين ، قيل: والصفات المشبهة ، وليس بشئ ، لأن الصفة المشبهة للثبوت فلا تقول بالفعل ، ولهذا كانت الداخلة على اسم التفضيل ليست موصولة باتفاق ، وقيل: هي في الجميع حرف تعريف ، ولو صح ذلك منعت من إعمال اسمي الفاعل والمفعول ، كما منع منه ( أي من إعمال اسمي الفاعل والمفعول) ، التصغير والوصف ، وقيل: موصول حرفي: وليس بشئ ، لأنها لا تؤول بالمصدر... (٣٣).

(٢) في قول ليبد ابن ربيعة:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ذكر ابن هشام أن "ما" في البيت مصدرية ، ودخولها يعين الفعلية وموضع "ماخلا" نصب ، ثم قال: "وزعم الجرمي والرعي والكساني والفارس وابن جني انه قد يجوز الجر على تقدير "ما" زائدة ، فإن قالوا ذلك بالقياس ففساد ، لأن "ما" لا تزداد قبل الجار ، بل بعده ، نحو قوله تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ...) (آل عمران: ١٥٩) وإن قالوه بالسماع فهو من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه . (٣٤)

### الثالث: توضيح المسائل الإعرابية

وإذا تأملنا تبويب ابن هشام للمفني نجد أن معظم أبوابه يتحدث عن الإعراب وما يتعلق به. ولذلك فانه من السهل لنا إثبات منهجه في توضيحه المسائل الإعرابية.

وقد خصص ابن هشام بابا (الباب الرابع) سماه "ذكر أحكام يكثر دورها ويقبح بالمعرب جهلها وعدم معرفتها على وجهها". وقدم المؤلف في هذا الباب الأسس العامة التي ينبغي أن يسير عليها كل معرب ويضعها في ذهنه ومن مباحث الباب هو ما يعرف به المتبدأ من الخبر ، ثم الاسم من الخبر ، ثم الفاعل من المفعول ، وغيرها.

ففيما يعرف به المتبدأ من الخبر ذكر المؤلف أنه يجب الحكم بابتدائية المقدم من الاسمين في ثلاثة أمور ، هي: أن يكونا معرفتين ، تساوت رتبتيهما نحو: "الله ربنا" أو اختلفت نحو: "زيد الفاعل" والفاعل زيد - هذا هو المشهور .. وأن يكونا نكرتين صالحتين للابتداء بهما نحو: "أفضل منك ، أفضل مني" وأن يكونا مختلفتين تعريفا وتكثيرا ، والأول هو المعرفة "كزيد قائم" وأما إن كان هو النكرة فإن لم يكن له مايسوغ الابتداء به فهو خير اتفاقا نحو: "ذهب خاتمك" . (٣٥)

وفي المواضع التي يعود الضمير فيها على ما تأخر لفظا ورتبة ، ذكر ابن هشام انها سبعة أقسام ، منها "أن يكون الضمير مرفوعا بنعم أو بنس ولا يفسر إلا بالتمييز ، نحو: "نعم رجلا زيد ، وبنس رجلا عمرو" ... " وأن يكون مخبرا عنه فيفسره خبره نحو قوله تعالى في سورة الأنعام: ٢٩ ، (إن هي إلا حياتنا الدنيا) ... " (٣٦)

والباب الخامس سماه: "ذكر الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها" وهي عشرة . قدم المؤلف في هذا الباب الأسس الأخرى ، يعرف فيها الدارسون الجهات التي ينبغي أن يراعوها في الإعراب .

ففي الجهة الأولى - مثلا - ذكر أهمية المعنى في الإعراب ، قال فيها: "وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه ، ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعلمه" . (٣٧)

ثم مثل حيث قال: ولقد حلّى لي أن بعض مشائخ الإقراء أعرب لتلميذ له بيت "المفصل":

لا يبعد الله التليب وال غارات إذ قال الخميس : نعم

فقال: "نعم" حرف جواب ، ثم طلبا محل الشاهد في البيت ، فلم يجدا ، فظهر لي حينئذ حسن لغة كنانة في نعم الجوابية ونعم بكسر العين ، وإنما نعم هنا واحد الأنعام ، وهي خير محذوف أي هذه نعم ، وهو محل الشاهد" . (٣٨)

وفي الجهة الثانية ذكر أهمية صحة الصناعة مع انصراف ذهن المعرب إلى صحة المعنى . قال بعض المعربين في قوله تعالى في سورة النجم: ٥٠-٥٢ ( وأنه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى ) إن ثمود مفعول مقدم ، فقال: وهذا ممتنع لأن لـ "ما" النافية الصدر ، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، وإنما هو معطوف على "عادا" أو هو بتقدير: وأهلك ثمودا... (٣٩)

و في الجهة الثالثة قال: "أن يخرج المعرب على ما لم يثبت في العربية ، وذلك إنما يقع عن جهل أو غفلة" . (٤٠) ومن ذلك قول بعضهم في قوله تعالى في سورة البقرة: ٢٤٦ ( وما لنا أن نقاتل في سبيل الله ) إن الأصل "وما لنا ألا نقاتل أي مالنا وترك القتال كما تقول: " ما لك وزيدا" وذكر أنه لم يثبت في العربية ، أو المفعول معه" . (٤١)

تلك هي الأمثلة التي سردها المؤلف قصدا لتوضيح المسائل الإعرابية وهناك أمثلة أخرى أتى بها لتدريب الطلاب ، وتوضيح المسائل الإعرابية ، إلا أنه لم يخص لها

بابا معينا بل أتى بها متفرقة في الأبواب المختلفة. وأنه يراعي الأحوال فلا يأتي بها حشوا من غير تمهيد أو علاقة سابقة فعند ما يفرغ من مسألة أو قاعدة - على ما تتبعته - يحاول أن يقربها إلى الأذهان ويتبعها ياتيان الأمثلة التوضيحية.

ففي الباب الأول مثلا لما فرغ من شرح "ماذا" وما يتعلق بها عقد فصلا خاصا قال فيه: "هذا فصل عقده للتدريب في "ما". (٤٢)

وفي الباب الخامس بعد أن ذكر قاعدة 'لم يمثل لها وإنما عقبها مباشرة بمسائل للتمرين' قال فيها: "الجهة الخامسة: أن يترك بعض مسائل من ذلك ليتمرن لها الطلاب مرتبة على الأبواب فبدأ الأبواب. بالمبتدأ 'ثم باب إعراب الفعل' ثم الموصول، ثم التوابع 'ثم حرف الجر' ثم باب في مسائل مفردة 'وأفرد كل باب بمسائل" (٤٣).

وفي خاتمة الباب الخامس أيضا بعد أن تحدث عن الحذف وشروطه أو ما يتعلق به أفرد فصلا للتمرين في الحذف سماه: "ذكر أماكن من الحذف يتمرن بها العرب": وفيه عدة أبواب". (٤٤)

والأمر الملحوظ في هذه التمرينات كلها أن المؤلف أفاض شرح المسائل بالشواهد القرآنية ثم بالشواهد الأخرى. وهذا يدل على قوة علاقتة بالقرآن الكريم في حياته 'ووعيه المستمر بما فيه. ولا يكفي بإيراد الأمثلة للتمرين بل خصص بابا (الباب السابع) - سماه كيفية الإعراب - يكون مفتاحا للمبتدئين في الإعراب.

#### الرابع: تصحيح بعض أغلاط المعربين:

إن ابن هشام عندما ذكر أنه تتبع بعض أغلاط المعربين وغيرهم فنبه وأصلحها فلم يختلف 'وإنه واف لما خطه في مقدمة كتابه. (٤٥) وقد اتخذ بابا واحدا (الباب السادس) من الكتاب نبه فيه المعربين سماه "باب التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلفها".

وكما ذكرنا أن ابن هشام شخصية نافذة واعية، لا يكفي بما سجله غيره من النحاة بل حاول أن يتبعه ويلقي عليه ضوءاً وفق منهجه الخاص ولا سيما في مجال الإعراب الذي هو أهم وظيفة للنحو، فمثلا: في الباب السادس ذكر المؤلف عشرين

موضعا ، رأى أن ما اشتهر بين المعربين فيها مخالف الصواب ، نحو قولهم في "بل" إنها حرف إضراب ، فقال " والصواب حرف استدراك وإضراب ، فإنها بعد النفسي والنهي بمنزلة لكن سواء وقولهم في نحو " انتني أكرمك" إن الفعل مجزوم في جواب الأمر ، قال: "والصحيح أنه جواب لشرط مقدر ، وقد يكون إنما أرادوا تقريب المسألة على المتعلمين" . (٤٦)

### الخامس: محاولة تذليل النحو:

وقد بين ابن هشام أن قصده في هذا الكتاب هو تذليل النحو ، وتقريبه إلى الأذهان ، والبعد به عن الاضطراب الفكري الذي يترتب على اختلاط مسائل النحو بعضها ببعض ، خدمة للدارسين والناشئين ، وفتح أبواب النحو أمامهم . وقد أشار إلى ذلك في المقدمة : ولما تم هذا التصنيف على الوجه الذي قصدته ، وتيسر فيه من لطائف المعارف ما أردته واعتمده سميته " مغني اللبيب عن كتب الأعراب" وخطابي به لمن ابتداء في تعليم الإعراب ولمن استمسك منه بأوثق الأسباب ومن الله أستمد "صواب ...". (٤٧) فنذكر مثالين لما أشار إليه المؤلف في قول الفرزدق:

وكل رفيقي كل رخل وإن ما      تعاطى القنا قوما هما أخوان

قال: "وهذا البيت من المشكلات لفظا ومعنى وإعرابا ، فلنشرح قوله: "كل رخل" كل هذه زائدة ، ورحل: بالحاء المهملة ، وتعاطى: أصله تعاطيا فحذف لامه للضرورة أو الألف من "تعاطى" لام الفعل ، وواحد الضمير لأن الرفيقيين ليست باثنين معينين بل هما كثير كقوله تعالى في سورة الحجرات: ٩ ، ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ ثم حمل على اللفظ ، إذ قال: "هما أخوان" كما قيل: (فأصلحوا بينهما) وجملة "هما أخوان" خبر كل . وقوله "قوما" إما بدل من القنا لأن قومهما من سببهما ، إذ معناها تقاومهما ، فحذفت الزائد ، فهو بدل اشتمال أو مفعول لأجله ، أى تعاطيا القنا لمقاومة كل منهما الآخر ، أو مفعول مطلق من باب (صنع الله) (النمل: ٨٨) لأن تعاطى القنا يدل على تقاومهما". وقال: "ومعنى البيت أن كل الرفقاء في السفر إذا استقروا رفيقين فهما كالأخوين لاجتماعهما في السفر والصحبة ، وإن تعاطى كل واحد منهما مطالبة الآخر". (٤٨)

وفي وجه إعراب "ما" في قوله تعالى في سورة البقرة: ٨٨ (قليلًا ما يؤمنون)

أورد المؤلف ثلاث احتمالات لإعرابها:

الأول: الزيادة فهي، عندئذ إما مجرد تقوية الكلام كما في قوله تعالى من سورة

آل عمران: ١٥٩ ، (لِما رَحمة من الله لنت لهم) فتكون حرفًا باتفاق و"قليلًا" في معنى النفي ، وإما لإفادة التقليل كما في "أكلت أكلا لما".

والثاني: النفي ، و "قليلًا" : نعت لمصدر محذوف أو لظرف محذوف أي إيمانًا

قليلًا أو زمانًا.

والثالث: أن تكون مصدرية وهي وصلتها فاعل بقليل ، وقليلًا حال معمول

محذوف دل عليه المعنى أي لعنهم الله" (٤٩).

فذلك هو منهج ابن هشام في المغني وما يلي بعض التأملات لنتجه فيه:

الأول: أن المؤلف - في الباب الأول - قدم مادة بحثه على ترتيب أحرف الهجاء

دون مراعاة بقية الحروف فمثلاً أنه أورد ، أما بعد ال ، وألا إلا وإلى بعد أو ، وإذا

إذما و إذا بعد إي و أي و أي ، وسواء بعد سي ، وعسى وعل وعند بعد عوض

وكم وكأي وكذا وكان وكل وكلا وكلتا بعد كي ، ولم ولما ولن بعد لو ولولا ولووما

ولعل ولكن بعد لن ولیمه ، ومع ومتى و مذ بعد من ومن و مهما ، ثم أنه لم يرتبها

حسب عدد الأحرف بل أتى بالرباعي قبل الثنائي والثلاثي ويخلط بينهما.

فلو راعى - في الترتيب - الحروف جميعاً حسب حروف الهجاء ، ثم صنفها

حسب عدد الأحرف . لكان أكثر توفيقاً و فنياً ومنهجياً . (٥٠)

الثاني : أن المؤلف في المغني لم يقتصر بحثه على المسائل النحوية ، بل إنه تناول

أيضاً بعض المسائل الأخرى كالأدب والبلاغة والتفسير ، وقد بين أن إيراد هذه

المسائل ليس لتقليد من سبقه من النحاة ، فقال فيه " ولم أذكر بعض ذلك في كتابي

جرباً على عادتهم ، وأنشد بيت دريد بن الصمة متمثلاً:

عويب وإن ترشد عمرية أرشد

وهل أنا إلا من غريبة إن غنوت

بل لأنني وضعت الكتاب لإفادة متعاطي التفسير والعربية جميعها" (٥١) وعلق الشيخ محمد الطنطاوي على ذلك قائلا: "يريد (ابن هشام) ان ما ذكره ليس ابتداء لغیره حتى يحتاج إلى الاعتذار بإنشاد البيت وإنما قصدة أن المعنى يجمع بين الرايين" وأضاف قائلا "ويروى أنه قيل لابن هشام: هلا فسرت القرآن أو أعربتہ، فقال: أغناني المعنى". (٥٢)

الثالث: أنه في هذا الكتاب سجل لنا أثر ملحوظ لم نجدہ في مؤلفاته الأخرى، وذلك أنه بين التاريخ الذي شرع فيه تأليف الكتاب فقال: "وقد كنت في عام تسعة وأربعين وسبعمانه انشأت بمكة- زاردها الله شرفا- كتابا في ذلك، منورا من أرجاء قواعده كل حالك، ثم أنني أصبت به، وبغيره في منصرفي إلى مصر، ولما من الله تعالى على في عام ستة وخمسين بمعاودة حرم الله، والمجاورة في خير بلاد الله شمرت عن ساعد الاجتهاد ثانيا، واستأنفت العمل لاكسلا، ولا متوانيا". (٥٣)

الرابع: أنه أكثر الاستطراد والتفريعات في المعنى، وأهم من ذلك أنه ألف كتابه لأهل زمانه، وهم كانوا أصبر منا على العلم وما كان يعيبه "المعنى" عندهم أنه طويل النفس، ولا أنه كثير الاستطراد. وكما أنهم كانوا أحفظ منا لكتاب الله سبحانه وتعالى... (٥٤).

ويتضح من دراستنا هذه :

١. أن ابن هشام وإن كان قد وصل إلى درجة فائقة في الدارسة النحوية - لم يقص عن استفادته من النحاة الآخرين في تكوين شخصيته ومذهبه، وطريقته في معالجة الآراء ومنهجه في التأليف.
٢. أنه أكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم وحاول تقديم الشواهد القرآنية في إثبات القواعد أو إبطالها على الشواهد الأخرى.
٣. أنه حاول تسهيل النحو ويظهر ذلك في سهولة عبارته، ووضوح أسلوبه، ودقة تعبيره وإيجازه في القول، والابتعاد عن المسائل الخلافية الكثيفة، وكل ذلك يهدف إلى خدمة الدراسين والطلابين لعلم النحو.

٤. بروأته في المغني أتى بمنهج مبتكر جديد لم يسبقه إليه أحد من النحاة قبله.

## الموامش

- ١- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: للشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني؛ تحقيق: محمد سيد جاد الحق؛ دار الكتب الحديثة ص ج: ٢؛ ص ٤١٤.
- و معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة؛ دار إحياء التراث العربي بيروت: ١٦٣/٢
- ودائرة المعارف الإسلامية صدرها باللغة العربية؛ أحمد الشتاوي وإبراهيم زكي حفر رشيد وعبد الحميد يونس؛ دار الفكر: ٢٩٥/١.
- والبدرد الطالع بمحاسن لمن بعد القرن السابع؛ محمد بن علي الشوكاني؛ دار المعرفة- بيروت: ٤١، ٤٠/١.
- و شذرات الذهب في اخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبدالحفي بن العماد الحنبلي؛ دار المسيرة؛ بيروت: ١٩٩/٦.
- وروضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: للعلامة الحوانساري الاصبهاني؛ تحقيق: اسد الله إسماعيليان؛ تهران- ١٣٥/٥.
- ٢- مقدمة ابن خلدون: للعلامة ابن خلدون: ٥٣٢/٢.
- ٣- الدرر الكامنة: ٤١٥/٢.
- ٤- الدرر الكامنة: ٤١٧/٢.
- ٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبي المظفر يوسف بن تفرغيت الأتابكي ٣٣٦/١٠.
- ٦- الدرر الكامنة: ٤١٦/٢، و روضات الجنات: ١٣٧/٥.
- ٧- الدرر الكامنة: ٤١٦/٢، ٤١٧، و روضات الجنات: ١٣٩/٥ و بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للعلامة جلال الدين عبدالرحمن السيوطي: ٦٩/٢.
- ٨- اعتراض الشرط على الشرط: لابن هشام الأنصاري؛ تحقيق: الدكتور عبدالفتاح أحمد الحموز؛ ص ٧.
- ٩- اعتراض الشرط على الشرط: ص ٧.
- ١٠- الدرر الكامنة ٤١٥/٢، ٤١٦.
- ١١- معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني: لعباس الترمذاني: ص ٢٥.

١٢- الدرر الكامنة: ٢١٠، ٢٠/٣.

١٣- شذرات الذهب: ١٤٨-١٤٩، والنجوم الزاهرة: ١٤٥/١٠، والبدر الطالع: ٤٠١/١.

١٤- الدرر الكامنة: ٢٥٥، ٢٥٤/٣.

١٥- شذرات الذهب: ١٤٥/٦.

١٦- بغية الوعاة: ٦٩/٣.

١٧- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للشيخ احمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: الدكتور

إحسان عباس: ٥٣٥/٢.

١٨- غاية النهاية في طبقات القراء: لشمس الدين ابن الخير محمد بن محمد الجزري ٢٥٦/٢.

١٩- الدرر الكامنة: ٤٠١/٣، وبغية الوعاة: ٢٠/١.

٢٠- شذرات الذهب: ١٠٦، ١٠٥/٦.

٢١- الدرر الكامنة: ٦٢/١، وبغية الوعاة: ٤٢٧/١.

٢٢- بغية الوعاة: ٤٢٧/١، وشذرات الذهب: ١٣/٧.

٢٣- شذرات الذهب: ٣٣٣/٦.

٢٤- شذرات الذهب: ٢٩٢/٦.

٢٥- المحصرنا لمؤلفات ابن هشام على الكتب التالية: بغية الوعاة، دائرة المعارف الإسلامية، الدرر الكامنة وكشف الظنون.

٢٦- المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة: للدكتور عبدالعال سالم مكرم:

ص ٣٨٣، ٣٨٤.

٢٧- المدرسة النحوية: ص ٢٧٤.

٢٨- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: لابن هشام، تحقيق مازن المبارك و محمد علي حمد الله، و مراجعة

سعيد الأفغاني: ١٢/١.

٢٩- كشف الظنون: ١٧٥١/٢-١٧٥٤.

٣٠- المغني: ١٤-١٦.

٣١- المغني: ١٤، ١٣/١.

٣٢- دروس في المذاهب النحوية: للدكتور عبده المراجحي: ٢٥٢ والمغني: ٦/١.

٣٤-المغني : ١٧٩/١ .

٣٥-المغني : ٥٨٨/٢ .

٣٦-المغني : ٦٢٥/٢ ، ٦٢٦ .

٣٧-المغني : ٦٨٤/٦ .

٣٨-المغني : ٦٨٤/٢ .

٣٩-المغني : ٦٩٨/٢ .

٤٠-المغني : ٧٠٦/٢ .

٤١-المغني : ٧٠٨/٢ .

٤٢-المغني : ٤١٤/١ .

٤٣-المغني : ٧٢٢/٢ - ٧٤١ .

٤٤-المغني : ٨١١/٢ - ٨٣٥ .

٤٥-المغني : ٨٥٤/٦ .

٤٦-المغني : ١٢/١ .

٤٧-المغني : ١٦/١ .

٤٨-المغني : ٢٦٠ ، ٢٥٩/١ .

٤٩-المغني : ٤١٦/١ ، ٤١٧ .

٥٠-معاني حروف المعاني عند ابن هشام والرماني<sup>٦</sup> لعباس الراجزان ص ٣٤-٣٦ .

٥١-المغني : ٨٥٣/٢ .

٥٢-نشأة النحو و تاريخ أشهر النحاة: للشيخ محمد الطنطاوي تعليق عبدالعظيم الشناوي و محمد عبدالرحمن الكردى: ص ٢٣٧ .

٥٣-المغني : ١٢/١ .

٥٤-المغني : ٧/١ .